ARID Journals

ARID International Journal of Social Sciences and Humanities (AIJSSH)

Journal home page: <http://arid.my/j/aijssh>

مَجَلَّةُ أُرِيدَ الدَّوْلِيَّةُ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ

المجلد الثاني، العدد الرابع، تموز 2020 م

Title of the study: The manuscript "Letter about Imam Malik saying I don't know" from the religious scholar Mohamed ben Ahmed ben Ali Behouti Hanbali 1088 Hijri

Mohamed Abouyahia

The faculty of Islamic and legal law- the University of Ibnzohr -city of Agadir
kingdom of Morocco

مخطوطة رسالة قول الإمام مالك (لا أدري) للإمام محمد بن أحمد بن علي البهوتي الحنبلي ت 1088هـ

محمد أبو يحيى

كلية الشريعة والقانون بجامعة ابن زهر - أكادير - المملكة المغربية.

m.abouyahia@uiz.ac.ma

arid.my/0003-9315

<https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2020.2411>

ARTICLE INFO

Article history:

Received 08/03/2020

Received in revised form 05/04/2020

Accepted 09/05/2020

Available online 15/07/2020

<https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2020.2411>

ABSTRACT

If the Muslim scholars made an incredible effort to find solutions to the problems faced by Muslims, that doesn't mean that they solved all the intricacies and dealt with all problems, and answered all the questions. Many, in fact, remain unanswered! As God said: "what Ootim of science only a little". As a result people tend to use the term "I don't Know" when faced with particular scientific difficulties as Imam Malik did.

The expression "I don't know" is considered a protection from arrogance and self-admiration, and to prevent people from saying what they don't know, as god said," step aside from what you have no knowledge of". I will try to identify the most important thing that this precious manuscript letter subject of this topic dealt with in a short, detailed, explanation, with analysis and representation.

Study Approach:

The approach I will be using in analyzing this manuscript letter is a to the point description.

Objectives:

I chose this topic because of what we observe today; people talking about and venturing in important and dangerous Fatwas without any knowledge. As if these people don't know the expression "I don't know"

To help re consider the importance of the expression “I don’t know” in the Modern scientific educational curricula.

The authenticity of the research topic: There is no doubt about the authenticity and importance of this research topic as it is directly related to the fatwa.

Expected results:

- We expect that after we shed light on the topic of this letter to reinstate the value of the expression “I don’t know”.

The positive effects of saying “I don’t know” as it is not considered negative but the renowned scholars consider it half of the knowledge as with Imam Malik.

Summary of results:

This kind of authentic and precious manuscript letter should be revived again to show the efforts and hard work of Muslim scholars and their research methodology.

To show that the degree of authoring books among the Muslim scholars reached very high and deep levels, as they discussed all the possible topics, even the expression ‘I don’t know’ in relation to fatwa.

Keywords: The expression “I don’t know”, Fatwa, Imam Malik.

الملخص

مدخل للحديث عن إشكالية البحث، وأسلوب معالجة الإشكالية:

إذا كان اهتمام علماء الإسلام وجهودهم تنصب على إيجاد الحلول للمشكلات المطروحة، والإجابة عن التساؤلات الملحة؛ فإن ذلك لا يعني أن يوجدون الحل لجميع المشكلات، ويجيبون عن كافة التساؤلات؛ إذ العلم نسبي، قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [1]، والمعرفة تتفاوت حظوظها عند الناس، ومن هنا فقد كانوا يستحضرون بقوة كلمة (لا أدري)، عندما يحاصرهم العجز، ويعوزهم الحكم الصحيح، أو الإجابة الشافية، أو الحل المناسب.

فهذه الكلمة عندهم هي العاصمة من التورط في الغرور، والاستنكاف المؤدبين إلى القول على الله بغير علم، وجر الناس إلى الضلال، والجهل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [2]. وثراتنا المشرق مليء بالحديث عن هذا الموضوع الخطير، تأصيلا لمبدأه، وتذكيرا بأهميته ومطلوبيته.

والرسالة المخطوطة التي أتوخى عرض مضامينها النقيصة في هذا المؤتمر العلمي، مثال واضح لكل ما سقته.

وسأحاول الوقوف على أهم ما تناولته الرسالة على سبيل الاختصار، تفصيلا، وتأصيلا، وتعليلا، وتدليلا، وتمثيلا.

منهج الدراسة:

المنهج الذي اتبعته في تناول موضوع هذه الرسالة (المخطوطة)، هو المنهج الوصفي الذي يتغيا استجلاء ما ورد فيها، وعرضه، على سبيل الإيجاز والاختصار. ومنهج التحليل؛ الذي يقصد إلى دراسة مضامين المخطوطة.

مختصر الأهداف:

إنما أثرت الالتفات إلى هذا الموضوع، ولفت النظر إليه؛ لأمرين:

- ما نراه اليوم من الجراءة الوقحة، والهجوم الصارخ على الفتوى، والإجابة على القضايا الخطيرة، التي لو عرضت على سيدنا عمر الفاروق-رضي الله عنه- لجمع لها أهل بدر كما يقولون، ولا يكاد يوجد في قاموس هؤلاء (لا أدري)، أو (لا أعلم)، أو نحوهما، علما بأن هؤلاء يزعمون اقتفاء أثر السلف، وقد رأينا أن السلف هم أكثر الناس لجوءا إلى هذه الكلمة، واستعمالاً لها.

- إعادة الاعتبار إلى هذه الكلمة في مناهجنا العلمية التعليمية المعاصرة (فما كل داء يعالجه الطبيب).

- إحياء ذكر هذه المخطوطة قليلة الورقات، عظيمة النفع والبركات، والسعي لنشرها؛ رجاء تعميم الانتفاع بها، وبموضوعها.

تبيان الأصالة في موضوع البحث:

لا شك إن هذا الموضوع، له من الأصالة ما يجعله جديراً بالإثارة، والإبراز، والبحث والمناقشة، فله ارتباط وثيق بالدين الحنيف، خصوصا في جانب من جوانبه الخطيرة، ألا وهو الفتوى التي هي التوقيع عن رب العالمين.

النتائج المفترضة:

- يتوقع بعد إلقاء الضوء على مكونات موضوع هذه الرسالة، أن نعرف قيمة هذه الكلمة (لا أدري) في ميزان الشرع.

- أثرها الإيجابي في المجتمع، وأنها ليست مثلية ومنقصة.

- كونها نصف العلم، كما ثبت ذلك عند كبار أهل العلم.

- الإيقاف على قيمة هذه المخطوطة، وإحسان مؤلفها في الاختيار والأداء.

خلاصة النتائج:

- إن مثل هذه الرسائل والمخطوطات، يجب إحيائها من جديد؛ إبرازا لجهود علماء الأمة في التأصيل لهذه المعالم المميزة لمنهج البحث والتفكير عند المسلمين.

- اتساع مجال التصنيف عند علماء المسلمين وعمقه، حتى إنهم قد استوعبوا كل المواضيع، مهما كانت غير مهمة في نظر البعض، فقد يستبعد تخصيص كلمة (لا أدري) بتأليف خاص؛ ولكن المنهج العلمي الإسلامي لا يغفل أي شيء.

- كلمات مفتاحية: كلمة (لا أدري)، الفتوى، الإمام مالك.

المقدمة:**مدخل للموضوع:**

رسالة: قول الإمام مالك لا أدري، للإمام محمد بن أحمد بن علي البهوتي، الشهير بالخلوتي المصري ت1088هـ، رسالة صغيرة الحجم كبيرة المحتوى، جمع فيه الإمام البهوتي نبذة صالحة من الأحاديث النبوية الشريفة، والآثار المنتقاة، والأخبار المجتابة، الواردة عن الإمام مالك، في أدب الفتوى، وبيان منزلتها، وخطرها، وما يجب على المفتي من التحري والتثبت والتمحيص في إصدار فتواه، وما يجب على العالم من الرجوع عن قوله إذا ظهر له غيره.

أهمية الموضوع:

تتلخص أهمية الموضوع في الأوجه الآتية:

- 1- ينضوي موضوع الدراسة تحت لواء قضية مهمة شدد القرآن الكريم، وكذا السنة النبوية الصحيحة في ضرورة الالتزام بها، وهي: تجنب القول في الشرع بغير إثارة علمية، وبرهان شرعي. ولذلك شهر العلماء، كمالك وغيره: مقولة "لا أدري"؛ كي يأنسب الناس بهم في رعاية تلك القضية المشار إليها.
- 2- صلته بعلم من أعلام الأمة الكبار؛ الذين كتب الله لفقهم القبول والاستمرار، وذلكم: الإمام مالك رضي الله عنه.
- 3- مسيس الحاجة إلى نشر مثل هذه الموضوعات العلمية؛ التي تسهم في ضبط ميدان العلوم الشرعية.

أهداف الموضوع:

من جملة الأهداف التي توخت هذه الدراسة ملامستها:

- 1- معالجة قضية القول في الشرع بغير علم، وما كان عليه الإمام مالك وغيره من الأعلام، من الفتوى في حدود علومهم، وما يحصل بسبب الإفتاء فيه عمل للمستفتي.
- 2- بيان مكانة الإمام مالك، ومقامه في هذا الباب؛ باب التورع عن التقول على الشرع، رغم مكانته، وذووع صيته في الأمصار آنئذ؛ مع كل ذلك لم يتوان عن قول: لا أدري، بل ورد عنه قوله للسائل الذي جاءه من تلك البلاد البعيدة: قل لمن خلفك: إن مالكا لا يدري.

3- كشف اللثام عن هذه الرسالة قليلة الورقات، عظيمة النفع والبركات، ونفض غبار الجهل عنها، وعن مؤلفها، رحمه الله تعالى.

أسباب اختيار الموضوع:

أ- أسباب موضوعية:

1- استشرأ ظاهرة القول على الشرع بغير علم، وعدم الانضباط بالضوابط العلمية في تناول المسائل؛ مما أدى إلى انفلاتٍ طويل الذيل في عصرنا. وذلك يوجب على أهل العلم مواجهة هذه الظاهرة الخطيرة، كل حسب موقعه، وعلمه، وإمكاناته. وأحسب أن إبراز هذه المخطوطة-موضوع الدراسة-، ومثيلاتها، ودراسة مضامينها: لون من ألوان مواجهة تلك الظاهرة الخطيرة.

2- صلة موضوع المخطوطة بالإمام مالك ومذهبه.

3- فرادة موضوع المخطوطة محل الدراسة، وغرابة منزلها¹.

ب- أسباب ذاتية:

1- الرغبة في الإسهام بمعالجة ظاهرة القول على الشرع بغير علم؛ التي استشرت في عصرنا؛ وذلك بدراسة هذا الأثر العلمي الصغير في حجمه، الكبير في فائدته ونفعه.

2- الاهتمام بتراث الإمام مالك العلمي، وما له صلة بمذهبه.

3- العناية بمجال تحقيق المخطوطات، والعزم على إخراج ثلة مباركة من مخبأته، ومن طلائع ذلك: هذا الأثر العلمي، موضوع الدراسة.

السؤال المحوري:

إلى أي حد يحتاج المفتي إلى كلمة : لا أدري؟

الأسئلة الفرعية:

1- لماذا أوجب الإمام مالك كلمة لا أدري ؟

(1)- وجه الغرابة: قلة التواليف في مثل موضوعها؛ على جهة الاستقلال والإفراد.

2- لماذا كان على العالم الرجوع عن قوله إذا ظهر له غيره؟

الفرضيات:

- خشية أن يقول على الله بغير علم.
- لأن لا أدري تعبر عن تواضع العالم وتورعه.
- لأنه يستشعر قوة الدليل في المرجوع إليه.
- لأنه تبين له الخلل في تصور المسألة بادئ الأمر.

المنهج المستخدم:

سلكت في معالجة موضوع هذه الدراسة منهجين:

الأول: منهج الوصف؛ الذي توخى استظهار مضامين المخطوطة العامة والخاصة، على جهة الاختصار.

الثاني: منهج التحليل؛ الذي هدف إلى شرح وتفسير مضامين المخطوطة، والوقوف على المنهج الأمثل الذي كان عليه علماؤنا قديما في هذا الباب.

حدود الدراسة:

حاولت الالتزام في هذه الدراسة بنوعين من الحدود:

1- الحد الموضوعي: المخطوطة موضوع الدراسة تتناول مسألة لها صلة وثيقة بالفقه وأصوله، وهي آداب الفتوى وشروطه.

2- الحد المكاني: وهو المخطوطة محل الدراسة والاستكشاف.

هيكل وخطة البحث:

محتوى هذه الورقة العلمية ينتظم في المباحث التالية :

المبحث الأول: التعريف بالإمام البهوتي صاحب الرسالة:

المطلب الأول: اسمه ونسبه.

المطلب الثاني: مولده، ونشأته، وحياته.

المطلب الثالث: مكانته العلمية.

المطلب الرابع: مشايخه.

المطلب الخامس: مناصبه العلمية ورحلاته.

المطلب السادس: تلاميذه.

المطلب السابع: آثاره العلمية.

المطلب الثامن: وفاته.

المبحث الثاني: التعريف برسالة " قول الإمام مالك لا أدري "

يقع هذا المبحث في العناوين الآتية:

المطلب الأول: وصف المخطوطة:

أ- اسم المخطوطة.

ب- توثيق نسبة المخطوطة إلى المؤلف.

ج- لوحاتها ومسطرتها.

د- خطها.

هـ- مكانها.

المطلب الثاني: محتوى الرسالة.

المبحث الثالث: رجوع المفتي عن فتواه، المفهوم، والأسباب، والنماذج.

أولاً: مفهوم الرجوع عن القول الفقهي.

ثانياً: من أسباب الرجوع عن القول الفقهي.

ثالثاً: نموذج للأقوال التي رجع عنها الإمام مالك.

صعوبات البحث:

إن أظهر ما واجهني من صعوبات: يُثَمُّ النسخة المعتمدة، وأن لا أخوات لها يُسْهَمَن في استيضاح مكنونات المخطوطة، وضبط نصها. ولا يخفى أن اعتماد النسخة الواحدة في تحقيق النصوص محل احتمال الزلل والخطر؛ لكن حسبي أنني بذلت جهدي وطاقتي في محاولة الوصول لنص صحيح سليم، أو قريب منه على أقل الأحوال؛ معتمداً في ذلك على المصادر التي نقل عنها المؤلف، وعن غيرها.

وهذا أوان الشروع في المقصود بمعونة الرب المعبود.

المبحث الأول: التعريف بالإمام البهوتي صاحب الرسالة:**المطلب الأول: اسمه ونسبه:**

هو محمد بن أحمد بن علي البهوتي، الشهير بالخلوتي، المصري، [3] فالبهوتي: نسبة إلى بهوت، قرية في صعيد مصر. والخلوتي: نسبة إلى الخلوة.

المطلب الثاني: مولده، ونشأته، وحياته:

1- مولده: ولد الشيخ محمد الخلوتي في القاهرة بمصر، ولم تذكر المصادر التي ترجمت له تاريخ سنة ولادته.

2-نشأته، وحياته:

نشأ الشيخ محمد الخلوتي -رحمه الله تعالى- في بيت علم وأدب، إذ كان خاله الشيخ منصور بن يونس البهوتي -رحمه الله- من كبار أئمة المذهب، وشيخ الحنابلة إمامهم في مصر دون مدافع، فاتجه الشيخ محمد إلى طلب العلم على يد خاله الشيخ منصور البهوتي، ولأزمه ملازمة تامة، وحرص على الاستفادة منه، فقرأ عليه (المنتهى) و"الإقناع" وغيرهما من كتب المذهب، وقيد كثيراً من تحريرات الشيخ منصور أثناء قراءته عليه.

ولم يقتصر الشيخ محمد الخلوتي -رحمه الله- على التفقه في مذهب الإمام أحمد -رحمه الله- بل أخذ عن أصحاب المذاهب الأخرى، فقرأ على الشهاب الغنيمي الشافعي وأخذ عنه العلوم العقلية، وبه تخرج وانتفع، واختص بعده بالنور الشيراملسي الشافعي، ولأزمه، فكان لا يفارقه في دروسه، وكان يجري بينهما في الدرس محاورات، ونكات دقيقة لا يعرفها من الحاضرين إلا من كان من أكابر المحققين.

وبعد وفاة خاله الشيخ منصور -رحمه الله- جلس للإقراء، وتصدر للتدريس والإفتاء في مكانه، فانتفع به الناس خصوصاً الحنابلة. [4]

المطلب الثالث: مكانته العلمية:

أثنى عليه العلماء غاية الثناء، ووصفوه بأنه: "العالم، العلم، إمام المعقول، والمنقول، مخرج الفروع على الأصول، المفتي، المدرس، المحرر، المحقق، المدقق". [5]

وقال ابن حميد في "السحب الوابلة": [6] "وكان رحمه الله- سيد البحث، مديد التقرير، جيد التحرير، بديع التدقيق، والتحقيق، أبدى غرائب الأبحاث، وحرر المنتهى قراءة وإقراء، واعتنى به اعتناء بليغاً...".

المطلب الرابع: مشايخه:

أخذ العلم عن كثير من العلماء من الحنابلة وغيرهم. ومن أشهر شيوخه:

1 - خاله الشيخ العلامة منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي: شيخ الحنابلة وإمامهم في عصره، كان عالماً، عاملاً، ورعاً، متبحراً في العلوم، رحل الناس إليه من الآفاق لأخذ مذهب الإمام أحمد عنه، مؤيد المذهب ومحرره، وموطد قواعده ومقرره، والمعول عليه فيه، والمتكفل بإيضاح خافيه. [7]

2 - الشيخ عبد الرحمن بن يوسف بن علي البهوتي، أحد المعمرين: كان سنة (1040 هـ) موجوداً في الأحياء، عاش نحواً من مئة وثلاثين سنة، تتلمذ على يد الفتوح صاحب "المنتهى"، وأخذ الفقه عن علماء المذاهب الأربعة، [8] وقد أخذ عنه الخلوتي الفقه. [9]

3 - الشيخ أحمد بن محمد بن علي، شهاب الدين الغنيمي الأنصاري المصري [10] (964-1044 هـ): كان فقيهاً، نحويًا، له شروح وحواش في الأصول والعربية، ورسائل في الأدب والمنطق، [11] وقد أخذ عنه الخلوتي العلوم العقلية، وبه تخرج وانتفع. [12]

4 - الشيخ علي بن علي الشيراملي، أبو الضياء، نور الدين الشافعي (997-1087 هـ). [13]

5 - الشيخ إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني المصري، المالكي، (ت 1041 هـ): كان عالماً، فاضلاً، متصوفاً من كتبه: "جوهرة التوحيد" منظومة في العقائد، و"حاشية على مختصر خليل". [14]

6 - الشيخ علي بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري المصري، المالكي، نور الدين، أبو الإرشاد (697 - 1066 هـ): كان من فقهاء المالكية، ومن العلماء بالحديث. من كتبه: "النور الوهاج في الكلام على الإسراء والمعراج"، و"شرح رسالة أبي زيد في الفقه"، و"مواهب الجليل في شرح مختصر خليل". [15]

المطلب الخامس: مناصبه العلمية ورحلاته:

لم أجد أحداً ممن ترجم للخلوتي رحمه الله- نص على أنه تولى ولاية، أو شغل منصباً، كما لم يذكروا له أي رحلة، بل نصوا على أنه ولد بمصر، ونشأ بها ولازم العلماء الذين كانوا فيها ممن تقدم ذكرهم. [16]

المطلب السادس: تلاميذه:

أخذ عن الشيخ محمد الخَلُوتي -رحمه الله- خلق كثير، من أشهرهم:

1 - الشيخ عثمان بن أحمد بن سعيد بن عثمان بن قائد النجدي (ت 1097 هـ): كان فقيهاً، مدققاً، محققاً، متبحراً في مذهب الإمام أحمد، حسن التأليف. من مؤلفاته: "حاشية على المنتهى"، "هداية الراغب شرح عمدة الطالب"،

"نجاة الخلف في اعتقاد السلف". [17]

2 - الشيخ عيسى بن محمود بن محمد بن كنان الصالحين الخَلُوتي الحنبلي (ت 1042 - 1093 هـ): كان من صلحاء الزمان وفضلائه، ورعاً، عابداً، زاهداً في الدنيا، أخذ عن مشايخ أجلاء منهم النور الشبراملسي، والشيخ محمد الخَلُوتي، [18]

3 - الشيخ أحمد بن محمد بن عوض المرداوي النابلسي المعروف بـ "ابن عوض"، (ت 1105 هـ): مَهَر في الفقه، وشارك في أنواع العلوم من القراءات، والنحو، والصرف، والمعاني، والبيان، وغير ذلك. [19]

4 - الشيخ محمد بن عبد الباقي بن عبد الباقي البعلبي الدمشقي، المعروف بأبي المواهب، (1044 - 1126 هـ) من كبار متأخري الحنابلة في بلاد الشام، كان علامة، فقيهاً، محرراً، ورعاً، زاهداً، تقياً، من مؤلفاته: "رسالة في قواعد القراءات"، [20]

5 - الشيخ إسماعيل الجيني، أبو الفداء، عماد الدين: القاطن بنواحي جب جنين من بلدان فلسطين، رحل إلى مصر، وقرأ على فضلائها، فأخذ الفقه عن الشيخ محمد الخَلُوتي، وقرأ عليه كتاب "منتهى الإرادات" مشاركاً لأبي المواهب وللشيخ إبراهيم الجيني، مع مطالعة ما عليه من الحواشي والتحريرات، فصار له الفضل التام، [21]

المطلب السابع: آثاره العلمية:

صنف الخَلُوتي -رحمه الله- في فروع شتى من العلم، فمن مؤلفاته:

1 - "حاشية على منتهى الإرادات"².

2 - "حاشية على الإقناع وشرحه"، جردت بعد موته من نسخته، فبلغت اثني عشر كراساً، [22] وقد قام بتجريدها الشيخ عبد الجليل بن أبي المواهب البعلبي (1079 - 1079 هـ)، كما جاء ذلك في غلاف الحاشية، [23] ثم قام الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد (1236 - 1295 هـ) -صاحب "السحب الوابلة"-، بتجريدها مرة أخرى من نسخة المؤلف، ولكن بحذف ما هو مذكور في شرح نسخة منصور و"حاشيته على الإقناع". [24]

² - تحقيق: الدكتور سامي بن محمد بن عبد الله الصقير والدكتور محمد بن عبد الله بن صالح اللحيدان أصل الكتاب: رسالة دكتوراه للمحققين، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م.

3 - "بغية الناسك في أحكام المناسك"³.

4 - نظم كثيرًا من القواعد الفقهية وغيرها. [25]

المطلب الثامن: وفاته:

توفي الشيخ محمد الخلوتي رحمه الله- في القاهرة في ليلة الجمعة، تاسع ذي الحجة سنة (1088 هـ). [26]

المبحث الثاني: التعريف برسالة "قول الإمام مالك لا أدري"

يقع هذا المبحث في العناوين الآتية:

المطلب الأول: وصف المخطوطة:

أ- اسم المخطوطة:

إن أصرح اسم لمخطوط من المخطوطات هو ما يذكره صاحب المخطوط نفسه في مقدمة مخطوطه، وهو ما فعله الإمام محمد بن أحمد بن علي البهوتي في مقدمة هذه الرسالة حيث قال: رحمه الله- "فهذه نبذة تتعلق بقول الإمام مالك لا أدري...."⁴.

ب- توثيق نسبة المخطوطة إلى المؤلف:

أدل دلائل تحقيق النسبة والتسمية المخطوطة نفسها، فقد أورد المؤلف (الإمام محمد بن أحمد بن علي البهوتي) في آخر المخطوطة، مصرحاً باسمه ما يلي: "وكتبه لنفسه أفقر العباد، وأحوجهم إلى عفو ربه الغني، محمد بن أحمد البهوتي الحنبلي في يوم الجمعة ثاني عشر ذي القعدة، من شهور سنة 1038 من الهجرة النبوية"⁵.

ج- لوحاتها ومسطرتها:

- **لوحاتها:** ثلاثة، في جميعها تعقيبة، (وتسمى كذلك: الرقاص، أو الوصلة في الخزانات المغربية العتيقة).

- **مسطرتها:** 23 سطراً.

³ - توجد منه نسخة في دار الكتب المصرية ولها صورة في جامعة أم القرى برقم (136).

⁴ - الورقة الأولى من المخطوطة.

⁵ - الورقة الخامسة من المخطوطة.

د- خطها:

نسخي جميل واضح، ويظهر من خاتمتها، أنها من نسخ المؤلف لنفسه، كما حققنا ذلك في "توثيق نسبة المخطوطة إلى المؤلف".

- مكانها: من محفوظات مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، ضمن مجموع (80/88).

صورة اللوحة الأولى من المخطوطة

صورة اللوحة الأخيرة من المخطوطة

المطلب الثاني: محتوى الرسالة:

رسالة: قول الإمام مالك لا أدري، للإمام محمد بن أحمد بن علي البهوتي، الشهير بالخلوتي المصري ت1088هـ، رسالة صغيرة الحجم كبيرة المحتوى، جمع فيه الإمام البهوتي نبذة صالحة من الأحاديث النبوية الشريفة، والآثار المنقاة، والأخبار المجتابة، الواردة عن الإمام مالك، في أدب الفتوى، وبيان منزلتها، وخطرها، وما يجب على المفتي من التحري والتنقيب والتحصيص في إصدار فتواه، وما يجب على العالم من الرجوع عن قوله إذا ظهر له غيره ورتبها على بابين:

الباب الأول: وسمه ب: باب إيجاب قول الإمام مالك لا أدري وكراهية كثرة الفتيا:

ضمنه مجموعة من الأحاديث والآثار، الواردة عن الإمام مالك، وأقوال بعض الفقهاء الأعلام، في فضل كلمة لا أدري والترغيب في الالتزام بها.

الباب الثاني عنوانه ب: "باب ما يجب على العالم من الرجوع عن قوله إذا ظهر له غيره:

افتتحه بقوله: اعلم أن باب الاجتهاد باب ظني، فما من مجتهد من الأمة أفتى باجتهاده إلا ويجوز له الرجوع عن قوله، وأكثر الأئمة رجوعاً مالِك - رحمه الله - فإنه في أكثر المسائل كان يفتي في المسألة، ثم يرجع عن المفتي به إلى قول آخر، ثم مثل الإمام البهوتي - رحمه الله - بمسألتين ورد فيهما أكثر من قول للإمام مالِك - رحمه الله - وهما:

المسألة الأولى: أم الولد إذا استُحقت برق لغير مستولدها.

المسألة الثانية: إذا اشترط البائع البراءة مما لا يعلم من العيب.

وبما أن الرسالة تتحدث عن فضل لا أدري ورجوع المفتي عن فتواه، لا بأس أن نخصص هاتين المسألتين بمزيد من الضوء، ولكن سأقتصر فقط الحديث عن المسألة الثانية⁶ وذلك في:

المبحث الثالث: رجوع المفتي عن فتواه، المفهوم، والأسباب، والنماذج:

أكثر الأئمة رجوعاً مالِك - رحمه الله -، فالمطالع للتراث الفقهي في المذهب المالكي - كما الشأن بالنسبة للمذاهب الأخرى، والشروح منها خاصة - يصادفه قول تلاميذ الإمام، ومحققو المذهب خلال عرضهم الأقوال المختلفة في مسألة فرعية ما: هذا "قول الإمام المرجوع عنه"، وهذا "قول الإمام المرجوع إليه"، في إشارة منهم إلى تعدد أقوال الإمام في المسألة الواحدة، مع بيان ما استقر عليه رأيه وأثبتته، وما هو مطروح من رأيه .

فما مفهوم رجوع الإمام عن القول الفقهي؟، وما هي أسبابه؟

أولاً: مفهوم الرجوع عن القول الفقهي:

هو "عَوْدُ المجتهد عن قول فقهي تقدم له فيه حكم، إذا ظهر له أن الصواب في القول المرجوع إليه، لسبب من الأسباب الموجبة لذلك". [27]

ثانياً: من أسباب الرجوع عن القول الفقهي: [28]

ومن الأسباب الموجبة لتغيير المجتهد اجتهاده ورجوعه عن قوله:

أ- اتساع علمه، ذلك أنه يمر أثناء اجتهاده بمراحل وأطوار عدة؛ فقد يرجع عن قول تقدم له فيه حكم، بسبب قوة ورجحان دليل آخر في نفس المسألة لم يقف عليه قبل اجتهاده الأول، ما يضعف مستنده في قوله الذي رجع عنه، فلا شك في اتباع المجتهد للدليل الأقوى. من ذلك ما روى ابن وهب من رجوع الإمام مالِك إلى النص، قال:

⁶ حذفت مبحثاً كاملاً عن أصل لا أدري، تاريخها، والترغيب في الالتزام بها، صور ونماذج، نظر لمعايير النشر في المجالات العلمية المحكمة، المتمثلة بتحديد عدد الصفحات.

سَمِعْتُ عَمِّي، يَقُولُ: سَمِعْتُ مَالِكًا يُسْأَلُ عَنْ تَخْلِيلِ أَصَابِعِ الرَّجُلَيْنِ فِي الْوُضُوءِ؟ فَقَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ. قَالَ: فَتَرَكْنَاهُ حَتَّى خَفَّ النَّاسُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، سَمِعْتُكَ تُفْتِي فِي مَسْأَلَةِ تَخْلِيلِ أَصَابِعِ الرَّجُلَيْنِ، زَعَمْتَ أَنْ لَيْسَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، وَعِنْدَنَا فِي ذَلِكَ سُنَّةٌ، فَقَالَ: وَمَا هِيَ؟ فَقُلْتُ: ثنا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَابْنُ لَهْيَعَةَ، وَعَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَمْرٍو الْمَعَاوِرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخُبَلِيِّ، عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادِ الْقُرَشِيِّ، قَالَ: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدَلِّكُ بِخِنْصَرِهِ مَا بَيْنَ أَصَابِعِ رَجُلَيْهِ". فَقَالَ: إِنَّ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَمَا سَمِعْتُ بِهِ قَطُّ إِلَّا السَّاعَةَ، ثُمَّ سَمِعْتُهُ يُسْأَلُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَمَرَ بِتَخْلِيلِ الْأَصَابِعِ"، [29] فانظر كيف رجع الإمام مالك عن قوله الأول الذي كان يفتي به، بعد وقوفه على مستند جديد قوي، ألا وهو نص الحديث الشريف، والذي لم يسمع به قبل ذلك كما صرح.

ب- أو يكون الرجوع بسبب تغيير العرف، أو ضرورة اقتضت ذلك، أو لمصلحة، أو استحسان...، وهو ما يفسر قول ابن أبي جمرة: "كان مالك- رحمه الله- يرجع من اجتهاد إلى اجتهاد عند عدم النص". [30]

ج- وكذا يغير المجتهد اجتهاده لتحري الصواب وطلب الحق، ومن ورع الإمام مالك وطلبه الحق، أنه كان يبكي من شدة إخلاصه، وخشية أن ينقل عنه الخطأ، يقول القعنبي: "دخلت على مالك فوجدته باكياً، فسألته عن ذلك، فقال: ومن أحق بالبكاء مني، لا أتكلم بكلمة إلا كتبت بالأقلام، وحملت إلى الآفاق". [31]

ثالثاً: نموذج للأقوال التي رجع عنها الإمام مالك:

أورد الإمام البهوتي في رسالته⁷ نموذجين من الأقوال، التي رجع عنها الإمام مالك وهما: الأول: أم الولد إذا استحققت برق لغير مستولدها، والثاني: إذا اشترط البائع البراءة مما لا يعلم من العيب.

ولعلنا نكتفي بإيراد نموذج واحد في هذا البحث، وهو:

إذا اشترط البائع البراءة مما لا يعلم من العيب:

جاء في النوار والزيادات: في بيع البراءة⁸: "من كتاب محمد: قال ابن القاسم: الذي أخذ به قول مالك الأول في بيع البراءة: أن البراءة جائزة في الرقيق... قال مالك: وأما الدواب وسائر الحيوان والعروض، فلا ينفع في ذلك شرط البراءة، ولا يبرأ فيها في بيع الميراث، ولا سلطان ولا غيره، وذلك مردود. قال سحنون، ومحمد بن المواز: قال

⁷ أي رسالة قول الإمام مالك لا أدري، التي نحن بصدد التعريف بها في هذا البحث.

⁸ قال عياض: "بيع البراءة ومعناها: البيع على أن لا يرجع على البائع بعيب قديم، في المبيع بما لا يعلم به البائع، ويخشى أن يكون به، وحاصله التبري من التبيعة فيه، والتبري من المطالبة به"، أنظر: أبو الفضل، عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ)، التَّنْبِيهَاتُ الْمُسْتَنْبَطَةُ عَلَى الْكُتُبِ الْمُدَوَّنَةِ وَالْمُخْتَلَطَةِ، تحقيق: الدكتور محمد الوثيق، الدكتور عبد النعيم حميتي الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1432هـ - 2011م، (1368/3).

أشهب: فإن وقع بيع البراءة في الرقيق غير الحيوان، لا أفسخه، وإن وقع في العروض، سوى الحيوان، فسخته، إلا أن يطول ويتباعد، فلا أفسخه، وخالفه ابن القاسم، وقال: لا ينفعه ذلك، وشرطه باطل.

قال محمد: وأرى أشهب إنما قال: لا أفسخه في الحيوان لما روي لمالك في كتاب محمد: من باع عبداً أو وليدة أو حيواناً بالبراءة، فقد برئ. وقد قال في غير كتاب ابن المواز: إنه ذكر لمالك أن ذلك في كتبه، فقال: امح الحيوان. وقال في كتاب ابن المواز: قلت له: في كتبك: يجوز بيع الحيوان بالبراءة، قال: إنما نعتي به الرقيق". [32]

قال عياض- رحمه الله:- " وهذا الأصل مما اختلف فيه قول مالك على أقوال: هل من البياعات ما هو بيع براءة، وإن لم يشترط فيه أم لا؟ وهل يصح بيع البراءة، وينتفع به في كل شيء، أو في بعض الأشياء، أو لا ينتفع به جملة؟ ولأصحابه في ذلك عشرة أقوال: منها له تسعة أقوال، منها في الكتاب ستة أقوال... [33]

وختاماً فإن عملي هذا عمل بشري يعتريه القصور والنقصان، فالمرغوب إلى من يقف على هذا البحث أن يَغْزِرَ صاحبه، فإنه علقه في ضيق من الوقت، وانشغال في خاطر، مع بضاعته المزجاة التي حقيق بحاملها أن يقال فيه تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِ خَيْرَ مَنْ أَنْ تَرَاهُ، وها هو قد نَصَبَ نفسه هدفاً لسهام الراشقين، وغرضاً لألسنة الطاعنين، فلقاريه غُثُّهُ، وعلى مؤلفه غُزُّهُ، وهذه بضاعته تعرض عليك، ومُؤَلِّئُهُ تُهْدِي إِلَيْكَ، فإن صادفت كفواً كريماً لها، لَنْ تَعْدَمَ مِنْهُ إِسْكَافاً بمعروف، أو تسريحاً بإحسان، وإن صادفت غيرَه فالله تعالى المستعان، وعليه التُّكْلَانُ.

وقد رضي من مَهْرَهَا بدعوة خالصة، إن وافقت قبولا واستحساناً، وبرد جميل إن كان حظها احتقاراً واستهجاناً.

والمَنْصِفُ يَهَبُ خطأ المخطئ لإصابته، وسيئاته لحسناته، فهذه سنة الله في عباده جزاء وثواباً. ومن ذا الذي يكون قَوْلُهُ كله سديداً، وعمله كله صواباً، وهل ذلك إلا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، ونطقه وحى يوحى، فما صح عنه فهو نقلٌ مُصَدِّقٌ عن قائل معصوم، وما جاء عن غيره فثبوت الأمرين فيه معدوم، فإن صح النقل لم يكن القائل معصوماً، وإن لم يصحَّ لم يكن وصوله إليه معلوماً. [34]

هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

قائمة المصادر والمراجع:

- [1] القرآن الكريم، سورة الإسراء: 85.
- [2] القرآن الكريم، سورة الإسراء: 36.
- [3] انظر: المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد (المتوفى: 1111هـ)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر-بيروت، لبنان، (3/ 390). الغزي، محمد كمال الدين بن محمد (المتوفى: 1207هـ)، النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد مطيع الحافظ ونزار أباطة، دار الفكر، 1402هـ. (ص238). ابن حميد، محمد بن عبد الله (المتوفى: 1295هـ)، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد، وعبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مؤسسة الرسالة-بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1416هـ-1996م. (2/ 869). ابن الشطي، محمد جميل بن عمر البغدادي (المتوفى: 1379هـ)، مختصر طبقات الحنابلة، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي بيروت 1406هـ، (ص123). ابن بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى (المتوفى: 1346هـ)، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1401هـ-1991م، (ص441).
- [4] انظر: المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (3/ 390)، الغزي، محمد كمال الدين بن محمد. النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل. ص (238)، ابن حميد، محمد بن عبد الله. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (2/ 869، 870). ابن الشطي، محمد جميل بن عمر البغدادي. مختصر طبقات الحنابلة. ص (123).
- [5] انظر: المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (3/ 390)، الغزي، محمد كمال الدين بن محمد. النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل. ص (238)، ابن حميد، محمد بن عبد الله. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (2/ 869، 870). ابن الشطي، محمد جميل بن عمر البغدادي. مختصر طبقات الحنابلة. ص (123).
- [6] ابن حميد، محمد بن عبد الله. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة. (2/ 870).
- [7] انظر: الغزي، محمد كمال الدين بن محمد. النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل. ص (210، 238). ابن حميد، محمد بن عبد الله. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة. (2/ 869)، (3/ 1131).
- [8] انظر: الغزي، محمد كمال الدين بن محمد. النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل. ص (204)، ابن حميد، محمد بن عبد الله. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة. (2/ 527).
- [9] انظر: الغزي، محمد كمال الدين بن محمد. النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل. ص (239)، ابن حميد، محمد بن عبد الله. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (2/ 869).
- [10] نسبه ابن حميد في السحب الوابلة (2/ 869) إلى الشافعية، ونسبه إسماعيل باشا في هدية العارفين (1/ 158) إلى الحنفية. البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم (المتوفى: 1399هـ). هدية العارفين. مكتبة المثنى، بغداد، 1951م. (1/ 158).
- [11] انظر: المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، (1/ 312). الزركلي، خير الدين. الأعلام. دار العلم للملايين، بيروت-لبنان. الطبعة التاسعة، 1990م. (1/ 237).
- [12] انظر: الغزي، محمد كمال الدين بن محمد. النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل. ص (239)، ابن حميد، محمد بن عبد الله. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (2/ 869).
- [13] انظر: الغزي، محمد كمال الدين بن محمد. النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل. ص (239)، ابن حميد، محمد بن عبد الله. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (2/ 869).

- [14] انظر: البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم. هدية العارفين (30/1)، الزركلي، خير الدين. الأعلام. دار العلم للملايين، بيروت-لبنان. (28/1).
- [15] انظر: المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، (3/ 157)، الزركلي، خير الدين. الأعلام. دار العلم للملايين، بيروت-لبنان. (13/5).
- [16] انظر: المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، (3/ 390)، الغزي، محمد كمال الدين بن محمد. النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل. ص (238-245)، ابن حميد، محمد بن عبد الله. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (870، 869/2). ابن الشطي، محمد جميل بن عمر البغدادي. ابن الشطي، محمد جميل بن عمر البغدادي. مختصر طبقات الحنابلة. ص (123، 124)، معجم المؤلفين (294/8)، كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (294/8). الزركلي، خير الدين. الأعلام. دار العلم للملايين، بيروت-لبنان. (12/6).
- [17] انظر: الغزي، محمد كمال الدين بن محمد. النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل. ص (253)، ابن حميد، محمد بن عبد الله. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة. (699/2).
- [18] انظر: الغزي، محمد كمال الدين بن محمد. النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل. ص (250)، ابن حميد، محمد بن عبد الله. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (806/2).
- [19] انظر: ابن حميد، محمد بن عبد الله. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (239/1)، البسام، عبد الله، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار العاصمة، الطبعة الثانية، 1419 هـ (132/5).
- [20] انظر: الغزي، محمد كمال الدين بن محمد (المتوفى: 1207 هـ). النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل. ص (268 - 271)، ابن حميد، محمد بن عبد الله. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (1/ 333 - 340).
- [21] انظر: الغزي، محمد كمال الدين بن محمد. النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل. ص (256).
- [22] انظر: الغزي، محمد كمال الدين بن محمد (المتوفى: 1207 هـ). النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل. ص (239)، ابن حميد، محمد بن عبد الله (المتوفى: 1295 هـ). السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (2/ 870).
- [23] حاشية الإقناع وشرحه للخلوتي (ق 1/ ب) نسخة دار الكتب المصرية.
- [24] حاشية الإقناع وشرحه للخلوتي (ق 117/ ب).
- [25] ابن حميد، محمد بن عبد الله. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة. (870/2)
- [26] انظر: المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. (390/3). الغزي، محمد كمال الدين بن محمد. النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل. ص (240).
- ابن حميد، محمد بن عبد الله. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (870/2). ابن الشطي، محمد جميل بن عمر البغدادي. مختصر طبقات الحنابلة. ص (124)، كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين. (294/8)، الزركلي، خير الدين. الأعلام. دار العلم للملايين، بيروت-لبنان. (12/6).
- [27] لروي عائشة، رجوع الإمام مالك عن قوله الفقهي، دراسة تأصيلية تطبيقية، بحث محكم، مجلة المذهب المالكي، تاء 1436 هـ-2014 م، العدد: 19، ص (55-78).
- [28] لروي عائشة، رجوع الإمام مالك عن قوله الفقهي، دراسة تأصيلية تطبيقية، ص (60).
- [29] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني (المتوفى: 458 هـ). السنن الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة. 1424 هـ-2003 م. (124/1).
- [30] الونشريسي، أحمد بن يحيى (المتوفى: 914 هـ). المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب. خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي. الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية. 1401 هـ-1981 م. (368/11).
- [31] أبو الفضل، عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544 هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: جزء 1 ابن تاوَيْت الطنجي، 1965 م، جزء 2، 3، 4: عبد القادر الصحراوي، 1966 - 1970 م، جزء 5: محمد

- بن شريفة جزء 6، 7، 8: سعيد أحمد أعراب 1981 - 1983م. الناشر: مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب. الطبعة الأولى. (193/1).
- [32] أبو زيد القيرواني، محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي (المتوفى: 386هـ)، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات. تحقيق: مجموعة من العلماء، الناشر: دار الغرب الإسلامي-بيروت. الطبعة: الأولى، 1999م. (238-238/6).
- [33] أبو الفضل، عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ). التنبهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة. تحقيق: الدكتور محمد الوثيق، الدكتور عبد النعيم حميتي. الناشر: دار ابن حزم، بيروت-لبنان. الطبعة: الأولى، 1432هـ - 2011م. (1368/3).
- [34] من آخر مقدمة (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (المتوفى: 751هـ). روضة المحبين ونزهة المشتاقين. الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. الطبعة: 1403هـ/1983م (ص14-15).